[٦]

الثورة الفلسطينية في الضمير اليهودي

الحاخام المر برغر

قال الكاتب الفكاهي والساخر الاميركي مارك توين ذات مرة ان الله انعم على الاميركيين بثلاث هبات : « حرية الكلام ، حرية الضمير ، والاحتراس من ممارسة اي منهما أبدا » . بهذه الملاحظة الساخرة ، كمعظم الاقوال التهكمية البارعة ، ليست صحيحة الا بصورة جزئية ، علما بأن الادلة تشير الى أن هذا الجزء من الحقيقة كان في ازدياد خلال الاعوام الاخيرة .

وينطبق تعليق مارك توين اللاذع ، بصورة مأساوية ، على موضوع « الضمير اليهودي » والثورة الفلسطينية . ليس من الصعب وصف الوجود الثابت « لضمير يهودي » جدير حقا بالثناء مع جوهر نموذجي في سياق المشكلة الفلسطينية . ويتوقف الشيء الكثير ، بالطبع ، على ما يعنيه المحلل « بالضمير اليهودي » . واعتقد انه من الضروري ، بادىء ذي بدء ، التمييز بين « الضمير اليهودي » و« الوعي اليهودي » . واذا كان « للضمير » اي معنى حقيقي على الاطلاق في هذا العالم المليء برجال الدولة الساخرين ، والامم « المحرومة » الجائعة ، والانهماك المنغمس ذاتيا بأدوات المدنية الى درجة ان السياسيين يمجدون الانهماك ويحولونه الى « مبادىء » ، فان «للضمير» صلة بالله ، او على الاقل بأية عبارة يستخدمها أي شخص حساس للاشارة الى ان الانسان **يستطيع** ان يكون أفضل واكثر مما هو ، وسواء اجتهد المرء ، أم لم يجتهد ، لتحقيق هذا النوع من السمو فتلك مسألة اخرى وقد تكون ، بحد ذاتها ، لها صلة ما بالضمير . ومن الناحية الاخرى فان « الوعي » ، بالتحديد ، مقيد بالارض ومقيد بالانسان . وقد يشتمل — في أي فرد معين — على درجة كبيرة من « الضمير » ، ولكنه لا يعني بالضرورة انه يشتمل عليه . وفي هذا الفرق يكمن الانقسام الممكن بين ما يعيره احد الاشخاص من كينونته — ما **هو** او ما **هي** — وبين ما يدرك (بضمير) انه قد يصيره .

يذكر في هذا باختبار شخصي عام ١٩٦٨ . كنت قد قبلت دعوة لاحاضر في الكلية اللاهوتية التابعة لجامعة ليدن ، في هولندا ، وقد سبب لي الموضوع المقترح للمحاضرة — وهو « النبوة ، والصهيونية ودولة اسرائيل » — خوفا عظيما . فقد كان تدريبي في كتابات العهد القديم تاريخيا ، تحليليا وعلميا على نحو صارم وتام . وكان «لاهوتي» مستقطرا من هذا المزيج من فروع المعرفة والدراسة عوضا عن ملاءمة تفاسير النصوص التوراتية في لاهوت مطبوخ مسبقا . وكان لاهوتيو ليدن كلفنيين*. والميول المسيطرة للكلفنيين — حينما يكون الامر متعلقا بالصهيونية ودولة اسرائيل — هي العثور في النصوص التوراتية على « سلطة » لتأييد وتسويغ السياسات الصهيونية

* أي اتباع المصلح البروتستانتي جون كلفن ، وهم يشكلون احدى الطوائف البروتستانتية في الغرب.